ضحية الاغانى

ما كادت آخر نغمة من صوت فردوس الساحر تتلاشى فى سماء الغرفة الفسيحة حتى طبق الفضاء تصفيق الفتيات المحيطات بالبيانو وأقبلن عليها بهنئنها و يعجبن لتوقفها عن الغناء طالبات منها مداومته . فتمنعت وحمرة الخجل تصبغ خديها الاثيلين . فالححن عليها فاطرقت حياء وتمتمت أنها لم تعتد مثل هذه الاغانى المطلقة من كل قيد . فعظمت جلبة الفتيات واشتد ضحكهن من سذاجتها فغادرت البيانو وأسرعت إلى والدتها الجالسة فى وسط الغرفة مع السيدات وألقت بنفسها بين ذراعيها وخبأت وجهها فى صدرها . فلحقت بها الفتيات وهن يضحكن و يقهقهن . فسألتها والدتها عما بها . فلم تحر جواباً . فاخبرتها احدى الفتيات بانها ورفيقاتها التمسن منها أن تغنى بصوتها الرخيم على توقيع البيانو احدى الاغانى الدارجة وهى : «العضة لسه ما آلمانى . عضنى فى خدى الثانى» لكنها لم تصل إلى كلمة «عضنى» حتى خرج الصوت من فمها مضطرباً مرتعداً لكنه بديع فى اضطرابه مشج فى ارتعاده . ثم ارتج عليها حياء من معنى الاغنية فامسكت عن الغناء . ولم يجد رجاؤنا نفعاً فى اعادتها الى اتمام الطقطوقة .

فقالت : اعذريها فلم يمض على خروجها من المدرسة الداخلية غير شهور قلائل ولا عهد لها بمثل هذه الاغانى التي لم يكن يحل لها هناك سماعها أو الترنم بها .

ثم رفعت رأس ابنتها عن صدرها وقبلتها فى عينيها الخجلتين واردفت : لا تراعى ياحبيبتى فليس فى التغنى بمثل هذه الطقاطيق التى علمتك إياها من لوم عليك أو تثريب فكل السيدات والآنسات ينشدنها بمسمع من الناس اجمع دون أن يجد أحد غضاضة فى ذلك . فعودى إلى البيانو وشنفى آذان ضيفاتنا بصوتك الشجى لئلا يقال أنك تقلين عن مثيلاتك رقياً وحضارة .

فنهضت فردوس متعثرة باذيالها وجلست إلى البيانو وشرعت تغنى الاغنية ذاتها لكن صوتها المسبى لم يزل يتخلله من تأثير الخجل اهتزاز خفيف يزيده عذوبة وطلاوة

وكانت قاعة الاستقبال فى قصر عبد الرحيم باشا غاصة بنساء الطبقة الراقية و بناتها فتكاكأن على فردوس وطفقن يمطرنها وابلا من التهكم والسخرية لاحجامها عن

التغنى بالطقاطيق المتداولة لانها تحتوى دعابة حبية بريئة . فسألت احدى الزائرات أمها عن سنها . فاجابتها بانها فى السابعة عشر من عمرها . فاندهلت الضيفة وقالت لفردوس :

أتكونين حبية خجولة فى هذه السن ؟ مع أن لك من غناك ومقامك مايدرأ عنك كل شبهة مهماشط بك التهور . إقلعى عن هذا ابابنية لئلا يرمونك بالجمود والانحطاط فانى هذه الاغانى مايدنو عنه سمعك وينفر منه قلبك . فهى صورة من الحياة البشرية لابد لكل فتاة أن تلم بها عاجلا أوآجلا . ولا إخالك تجهلينها حتى الآن .

فصبغ الحياء وجه فردوس الجميل واطرقت خجلة . فتعالت أصوات النساء والفتيات بالضحك والنكات . وأخذت كل واحدة تقترح عليها أن تغنى اغنية تسميها لهما . فقالت حرم فاضل باشا: أنشدينا اغنية السرير « ارخى الستارة . .

وقالت الآنسة سنية بنت مصطفى باشا : لابل غنى لنا حديث الناموسية « وشبكها وحبكها . . واحضن وأبوس . .

وقالت سميرة هانم زوجة الفريق راتب باشا . دعوها تغنى نشيد التاكس : حذر فزر . . هو يزمر واحنا نهزر . .

واردفت منيره هانم حرم اللواء حسيب باشا : أرى أن تغنى « شفتى بتاكلنى أنا بعرضك خليها تسلم على خدك »

وكانت النكت أثناء ذلك والكلمات ذات المعانى المستترة تتساقط على تلك المسكينة تساقط المطر الصيب وهى واجمة لاتفوه بكلمة . فاقبلت عليها امها وضمتها الى صدرها وحضتها على الشجاعة ومجاراة تيار العصر ومقتضيات التمدن الحديث . فامتثلت الفتاة مرغمة . وشرعت تغنى مايعرضنه عليها والسيدات والاوانس يرددون مقاطيع الاغانى فرحات جذلات .

ولما سردن كل الطقاطيق الخليعة التى هى ثروة مصر الموسيقية الشائعة . هنأن فردوساً بتغلبها على حيائها الذى لامسوغ له . وودعنها بكلام ينطوى على والتهكم والسخرية

* * *

جلست فردوس بعد انصراف المدعوات فى تلك الغرفة الثمينة الرياش وحيدة تتنازعها الافكار وتتقاسمها العواطف المتباينة . وقد لبثت معانى الأغانى عالقة بذهنها تتردد فى

اجوائه تردد الصدي بعد تلاشي الصوت . فقارنت بينها و بين تلك الاناشيد الحاصة على الفضيلة التي كانت تترنم بها فى المدرسة . والتى تسمو بالنفس الى مستوى أعلى من مستواها الحسى. فساورتها رهبة وأدركتها خشية من فحش الاغانى التى لقنتها اياها أمها . والتى ترددها افواه الاوانس وتنشدها السيدات فى خدورهن والأسر فى مجالس انسها وسمرها . وتصايحها الصبية فى السبل والطرقات . وتصور لادراكها الفتى مبلغ الاثر السيء الذى تتركه فى أخلاق النشء . فتتسلل سمومها الممزوجة بسحر التوقيع ونشوة الطرب الى العواطف والمشاعر فتسف بها الى الدرك الاسفل .

دارت هذه العواطف فى مخيلتها وكادت تتأصل فيها لولا وصايا أمها وحض ترائبها الفتيات وصديقات اسرتها اللواتى هن من علية القوم وأكابرهم . فقد أكدن لها أن هذه الاغانى صورة من صور حياتنا التى لاعيب فيها ولاعار فى الترنم بها والاستمتاع بمعانيها . فلماذا تنفرد هى باقصائها والاعراض عنها ؟ لاسيما وقد بدا لها انها شرعت تنفذ الى شعورها الناشيء الذى اخذ يتفتح لمعانى الحياة ويستسلم الى تيارها .

تمارس فى عقلها الخلق الرضى ، والخلق الردىء . وتعالجا فيما بينهما أمر الاغانى الدارجة التى تدعو الى الفسق والفجور ، وتحض على خلع العذار والاستسلام الى الملاذ الجسدية . فهذا يريد نبذها وأقصاءها وذاك يبغي توطيدها وترسيخها فمالأت نزعة الشر الغريزية فى الانسان الخلق الردىء فكانت له الغلبة على مشاعر الفتاة الغضة وعواطفها الفتية ، فمالت الى هذه المفاسد تتشد بها نفسها وتتغذى بها روحها دون أن تدرى ما تخبؤه لها فى دسمها

جلست الى البيانو وأنشأت تردد الاغانى مستطيبة عباراتها ، مستلذة بذاتها ، مستملحة ما تستثيره من شهوات حتى توردت وجنتاها وفترت عيناها وأثيرت عواطفها فاسندت رأسها الى يدها وغاصت فى بحار التأملات التى كانت تزين لها الغرور وتحسن لها كل سوانح النفس ونزعاتها

وكانت من حين الى آخر ترفع رأسها وتتطلع الى نافذة أمام قصرها اعتاد فتى استهوته محاسنها ان يطارحها منها الغرام . فاذا مارأتها مغلقة تنهدت وعادت الى تأملاتها

ومما يدعو الى العجب انها كانت منذ برهة تنفر من هذا الفتى متخذة من قويم مبادئها ترساً تدرأ به دنى النفس ونزعات الصبا . وكانت تغلق نافذتها حالما تراه . وقد

همت مراراً أن تطلع امها على امره معها لكن الحياء منعها فسكتت على مضض

أما الآن وقد تسربت نشوة الأغانى الى عواطفها فحركت فيها كل المشاعر الحسية، فقد تاقت نفسها الى رؤية الفتى الذى طفقت تستعيد ملامحه فى ذكراتها فتجده جميلا فتانا، فلماذا تزور عنه وتأباه ؟ ولماذا لا تمثل معه الادوار التي تنوه بها الاغانى طالما هذه الأناشيد تعبر عن صور حياتنا ومقتضيات وجودنا ؟ لاسيما وان امها وصديقاتها لايجدن فيها ما يا فى الادب ويخدش الشرف

وبينما هذه الافكار تتلاطم فى مخيلتها فتحت النافذة التى كانت تتطلع اليها وبدا منها فتى بهى المنظر جذاب الملامح فابتسم لها فى حياء وخجل لكنه لما رآها تنظر اليه على غير عادتها تجرأ وبادأها بالسلام. فافتر ثغرها الا قحوانى عن ابتسامة خلابة معربة وردت عليه سلامه فاستطار فرحاً واشار اليها بالتمهل وارتد عن النافذة وغاب هنيهة ثم عاد وبيده خطاب اعده لها منذ زمن لكن نفورها منه منعه من ارساله لها . ورمى به اليها فتلقفته واسرعت به الى الداخل لتقرأه على انفراد خشية ان يفاجئها مفاجئ. فطالعته بشغف وهيام وكانت كلماته الغرامية المتأججة تزيد فى ضرام مشاعرها الملتهبة حتي إذا انتهت الى آخر حرف منه ايقنت بصحة ما انطوت عليه الاغانى وتبين لها ان الحياة إذا تجردت من الحب الذى تختلج به العواطف الحسية اصبحت تافهة لا قيمة لها ، ولا معنى لوجودها . فسارعت فى الرد على الخطاب بكلمات اجاجة السعير املاها عليها تأثير الاغانى المتملكة مشاعرها والمستولية على مداركها .

وهكذا واترت اليه الرسال واجابها بالمثل . فكانت كتبه يأتى بعضها فى إثر بعض دون ان تنقطع ، حتى اخرجتها عن طورها ودفعتها الى المغامرة بنفسها . فانتهى بهما الامر الى الاجتماع خاسة . وكانت تلتهب شوقا الى وضع الاغانى موضع العمل . فبدأت بماتوحيه أغنية « شفتى بتاكلنى . . » ثم تزوجت معه فى سيارة فقامت بمايتطلبه نشيد التآنس « حزر فزر . . »

ومازالت تنتقل معه من اغنية الى اخرى لتعمل بماتحض عليه حتى اذا استبطأتها امها صباح احد الايام فدخلت غرفة نومها لتستطلع خبرها وجدت الغرفة خلواً منها والفت على المنضدة خطابا منشورا هذا نصه :

أغادرك ياوالدتى العزيزة وفى قلبي اسى، وفى فؤادى حسرة . وماكان يودى فراقك ولكن قضى الامر ولامرد لماجرى به القدر . فاذاكان ثمت ذنب فوزره واقع عليك .

لانى كنت طاهرة تقية . تنبو أذاناى عن سماع فحش القول ويغلق فمى دون التلفظ به . ويرتد طرفى عما من شأنه ان ينافى الحشمة والادب . لكنك

شئت ان اماشي تطورات العصر . وان اعمل بمقتضيات المدنية . فعلمتني اغاني لحنها الخلاعة وسداها التهتك. فنفدت الى نفسي البريئة فبدلت طهرها بدنس و عفافها بفجور . و عبثا حاولت ان اتغلب على تأثيرها في. فكنت ابوء دائما بالخيبة والفشل. لان للملحين سحر يخترق شغاف القلوب و ياط الافئدة، و يتسلل الى اعماق الروح. فيتملك المشاعر ويستأثر بالعواطف .

وقد عملت بما اوحت به الى أغانيك وسرت مع من احبه قلبي . فوداعا ايتها الوالدة . يا من جنيت على ابنتك جنايه ترتعد من هولها الارض . وتقشعر من فظاعتها السماء

ج . ن

رابطه الادب الجديد

THE NEW LITERATURE LEAGUE

مركز الرابطة : « بدار العصور » بشارع الخليج المصرى بميدان الظاهر بالقاهرة

منذ أن مهدنا بالبيان عن تكوين هذه الرابطة — ولا سيما في عدد أغسطس الماضي من « العصور » — واهتمام الادباء بهذه الجامعة الفكرية التعاونية في ازدياد . وقد رد سكرتير اللجنة التحضيرية الاستاذ كامل كيلاني على ما تلقاه من رسائل المستفهمين من القراء في حينها. و يعتذر محرر «العصور» عن الكتابة المسهبة في هذا الوقت عن « الرابطة » تاركا للسكرتير العام عند انتخابه في الاجتماع العام المقبل أن يقوم بذلك في عدد قريب من هذه المجلة . أن يتبع ذلك نشاط « الرابطة » المنتظر . وما من شك في أن تكوين « المجمع المصرى للثقافة العلمية » و « رابطة الادب الجديد بالقاهرة » من أجمل الاعمال الانشائية الفكرية التي تمت في مصر في العهد الاخير . ولا ريب في أن تساند هاتين الهيئتين الشقيقتين و تآزرهما للخدمة العامة سوف يؤدي الى رفعة الثقافة المصرية علمياً و أدبياً ، و بالتالي سيؤثر تأثيرا صالحاً في النهضة الفكرية بالعالم العربي . فليس من الغلو بالتفاؤل أن نغتبط سلفاً لنتائج هذا الجهد الصالح الذي سيضمن بقاءه صفوة أساطين العلم والادب في مصر — أولئك الذين يفهمون معنى التآخي العلمي و الادبي ، و يعملون لكرامة العلم والادب ولخير المجموع قبل أن يعملوا لذواتهم.